مدخل إلى الآداب العالمية

السداسي الرابع / دراسات لغوية . لسانيات عامة

السداسي الرابع / دراسات نقدية

د.محمد شيراني

ملحمة "الإنياذة" لـ: "فرجيل"

1-تعريف الملحمة: هي "قصّة بطولة تحكى شعرًا تحتوي على أفعال عجيبة، أي على أحداث خارقة للعادة. وفيها يتجاور الوصف مع الحوار وصور الشخصيّات والخطب؛ ولكن الحكاية هي العنصر الذي يسيطر على ما عداه. على أنّ هذه الحكاية لا تخاو من الاستطرادات وعوارض الأحداث. وفي هذه تفترق الملحمة عن المسرحية والقصّة افتراقا جوهريًا".

ازدهرت الملحمة عند اليونان والرّومان، وهي عهود الشّعوب الفطرية، حيث كان النّاس يخلطون بين الخيال والحقيقة، وبين الحكاية والتّاريخ، وكان الخيال فيها يطغي على الواقع والتّاريخ.

كانت الحياة الفطرية في هذه العصور توفّق بين العقل وعالم الأرواح والجنّ، وتدخل الملائكة والشّياطين في شؤون النّاس. وهي في النّهاية تعبير عن معتقدات هذه الشّعوب من جهة، ومحاولة لتصوير واقعهم من جهة أخرى، وأبطال الملحة قد يكونوا واقعيّين أو تاريخيّين، وقد يكونوا من عالم الجنّ والآلهة.

ومن أشهر الملاحم: ملحمتي هوميروس "الإلياذة والأوديسة، وملحمة فرجيل الروماني:" الإنياذة".

2- نبذة عن المؤلّف: اسمه الكامل: "بربليوس فيرجيليوس مارو" ولد في 15 أكتوبر سنة 89 ق.م وتوفّي في 21 سبتمبر 19 ق.م (مع اختلاف في هذه التّواريخ).

تختلف المصادر حول حياة فرجيل وطبيعة أسرته، ويبدو أنّ الشّاعر كان يعيش وضع إجتماعي مريح أهله للدّراسة في "كريمون" ثمّ في مدرسة ميلانو الشّهيرة، وبعد ذلك في روما في مدرسة "الأستقراطية الرّومانية".

عبر مراحل تعليمه نهل فرجيل من علوم مختلفة إذ اطّلع على التّراث اليوناني القديم، وأقبل على دراسة كتب النّحو والفلسفة والبلاغة والخطابة، وكذلك اطّلع على مؤلّفات كبار أدباء عصره، ودرس الأدب والرّياضيات والطّب، وتأثّر بالفيلسوف سيرو الأبيقوري، وكان يحرص على حضور حلقاته الفكرية.

كان فرجيل إنسانًا محبّا حسن الخلق، لا يعرف الحسد أو الحقد، وكان يفضّل الحياة الهادئة خارج روما، وكان شديد الحياء عليل الصّحة، ودفعه ذلك إلى اختيار حياة الرّيف بعيدًا عن روما في ضيعة كانت لأبيه.

بعد أن أنهى كتابة الإنياذة وام يبق إلاّ تنقيحها ومراجعتها، وقرّر زيارة اليونان لكي يري الأماكن التي ذكرها في عمله والتقى في أثينا الإمبراطور "أوغسطس" وفي طريق عودته إلى الوطن عرّج على (ميجارا) فتعرّض إلى الحرّ الشّديد وساءت صحّته ولم يستطع تحمّل مشاق السّفر وداهمه الموت في (بروونديسيوم)، ونُقل جثمانه إلى نابولي حيث دُفن هناك.

هي ثالث أشعار فرجيل وآخرها تروي قصصًا أسطورية تصوّر أصل الشّعب الرّوماني قبل تأسيس Eaniad

3- الإنياذة:

روما بزمن طويل، نضّمت بطريقة الشّعر البطولي، ويعود سبب تأليفها لحاجة قومية في عهد أوغسطس الذي لفت نظر الشّعراء ذوي الشّأن إلى نظم ملحمة ترتبط ببعض أعماله وتسجّل أمجاد الرّومان مثلما سجّل هوميورس أمجاد اليونان، وكان فرجيل هو الذي نهض لتحقيق هذه الغاية. وبدأ تأليفها حوالي 30 ق.م. وامتدّت كتابتها تسعة أعوام أو إحدى عشر عاما، إلاّ أنّ فرجيل لم يُرد نشر هذا العمل كونه لم ينته من تنقيحه فأمر أن يلقي ما كتبه للنّيران لكنّه عدل في النّهاية عن ذلك وآثر أن يتركها لصديقيه بشرط ألاّ ينشرا مما كتبه، إلاّ أنّ الإمبراطور أوغسطس أمرهما بنشرها على أن يقوما بمراجعتها وحذف ما لا ضرورة له دون أن يضيفا إليها أيّ شيء، وهكذا بعد وفات فرجيل بعامين نُشرت الإنياذة.

بلغ عدد أبيات الإنياذة 9896 بيتًا.

أحداثها: تنقسم الإنياذة إلى اثني عشرة قسما أو كتابا حيث تناول في الكتاب الأول: قصة إنياس عندما اقترب من الأرض الموعودة في الغرب، فتضرب الرياح سفنه وتلقي بها على الساحل الإفريقي، ويتضح أن يونو زوجة جوبيتر هي التي أرسلت هذه العاصفة و سببت كل هذه المتاعب لأنها تعادي طروادة و سلالتها، و تستقبل ديدو الطرواديين في مملكتها المؤسسة حديثا.

أما في الكتاب الثاني و على مأدبة حافلة تعدها ديدو لآينياس يحكي لها الأخير قصة سقوط طروادة و قصة الحصان الخشبي وكيفية هروبه من ركام الحريق بأمر الآلهة و معه والده أنخيسيس و أبنه أسكانيوس و آلهة البيناتيس الطّروادية.

أما الكتاب الثالث فضمنه فرجيليوس قصة نزول آينياس على ساحل أكتيوم الموطن الجديد للعراف الإغريقي هيلينوس و ينتهي بموت والد آينياس أي انخيسيس في صقلية.

ففي الكتاب الرابع ترغب يونو في إحباط خطة إقامة طروادة الجديدة في إيطاليا، حيث وحدة جهودها مع آلهة الحب و الجمال و التناسل فينوس بهدف إخضاع آينياس لحب الملكة الفينيقية ديدو، علما ان هذه الملكة عاهدت نفسها على أن لا ترتبط بأي رجل بعد وفاة زوجها سيخايوس. و لكن تقع في حب آينياس و تنقض عهدها و تحاول إبقاء محبوبها إلى جوارها...حتى وصل الأمر على حد أن جوبيتر اضطر لأن يذكر آينياس برسالته السماوية على لسان رسوله ميركوريوس، فاستيقظ من غفوته و أحلامه و قرر الرحيل وباءت كل جهود ديدو بالفشل فلعنت حظها و انتحرت.

أما الملاحظ على الكتاب الخامس فيجده "يمثل مرحلة انتقال تخفف من حدة مأساة ديدو و تمهد لغموض و روعة الكتاب السادس, حيث بدا الكتاب بتفاجئ آينياس عاصفة قوية و هو في طريقه إلى الساحل الإيطالي فيرسي مراسيه في صقلية. وهناك يقيم احتفالات دينية و ألعاب جنائزية بمناسبة ذكرى وفاة والده. و ينتهي الكتاب بإنقاذ بعض سفن آينياس بمعجزة من الحريق الذي اشتعل في الأسطول بإيعاز من يونو. و بالفعل في الكتاب السادس يرسى أسطول آينياس مراسيه في كوماي بإيطاليا،و تقوده الكاهنة سبيلا Sibyllaبعد أن يتزود بالغصن الذهبي السحري حيث يدخل العالم السفلي عند بحيرة فيرنوس، و هناك يلتقي بالكثيرين و منهم ديدو حبيبته الفينيقية المنتحرة، ثم يلتقي بوالده في الإليسيوم مقام السعداء و المباركين. و يطلعه أبوه على الأرواح التي ستولد يوما ما في روما ثم تنمو و تكبر و تصبح شخصيات و رجالات التاريخ

الروماني منذ تأسيس المدينة و حتى عصر أوغسطس الملاحظ على هذا الكتاب أن فرجيل يبدو أكثر غنى و ثراء و أكثر استقلالا و بعدا عن النقل و التقليد، فقد جمع فيه كل ثمار دراسته و ثقافته و اطلاعه عن الأساطير و النبوءات و الطقوس و التاريخ و الفلسفة ووضعها جميعا في تلك الصورة الخيالية الرائعة التي صور بها رحلة آينياس إلى العالم الآخر.

و بعد زيارة العالم الاخر أو السفلي نصل للكتاب السابع "حيث برسل آينياس وفدا إلى الملك لاتينوس (طاعة لنبوءة قديمة) الذي يستقبل الوفد بترحاب غامر، بل يعرض على آينياس يد ابنته لافينيا، بيد أن يونو الحقودة تثير البغضاء بين الطرواديين و الآتين فتشتعل نار الحرب بينهما، حيث لا يشترك في المعركة لاتينوس و يقودها تورنوس الذي طلب لافينيا لنفسه و تعضده الملكة أماتا. = Amata)الحبيبة(

أما في الكتاب الثامن فيسع آينياس إلى توسيع دائرة حلفائه. حيث بادر إفاندر حاكم المكان الذي تقوم عليه روما فيما بعد بتزويد الطرواديين بقوات تحت قيادة ابنه الشاب باللاس...و بطلب من فينوس صنع فولكانوس إله الصناعة و الحدادة أسلحة آينياس و من بينها الدرع الذي زينته مشاهد تنبؤية تبشر بمستقبل التاريخ الروماني المجيد.

و في الكتاب التاسع يشدد تورنوس الضغط العسكري على الطرواديين منتهزا فرصة غياب آينياس عن الساحة. و يحاول كل من نيسوس و صديقه يوريالوس أن يشقا طريقا بين صفوف العدو ليصلا على آينياس و يحيطانه علما بالموقف. و لكنهما و بسبب تهور يوريالوس يدفعان حياتهما ثمنا لهذه المغامرة. و في اليوم التالي يخوض الطرواديين معركة خاسرة للمرة الثانية.

و قد بدأ الكتاب العاشر باجتماع الهي علوي حيث يؤنب جوبيتر كلا من يونو وفينوس لتدخلهما في الصراع بين البشر. و في نفس اليوم مضت الحرب الأرضية دون تدخل إلهي، و كان آينياس قد عاد إلى ساحة الوغى. و حدث أن كان تورنوس قد أحرز نصرا سهلا على الشاب الصغير بالاس فقتله و استولى على أسلحته و مثل بجثته.

فيثور آينياس ويثأر لمقتله بالقضاء على عدد غير قليل من أبطال الأعداء، و لكن يونو تتمكن من انقاذ تورنوس بإبعاده عن الميدان فينازل آينياس ميزنتيوس و يقتله. و قد "دفع لاوسوس حياته ثمنا عندما حمى ظهر أبيه آينياس الذي انسحب من المعركة على اثر جرح أصابه.

و في الكتاب الحادي عشر "تعقد هدنة و يوقف القتال لدفن الميّت، حيث عرض آينياس خطة لإنهاء الحرب على ان تجرى مبارزة فردية بينه و بين تورنوس لحسم الموقف، و يبدي الملك لاتينوس استعداده لقبول هذا العرض, و لكن تورنوس يصر على مواصلة الحرب, لكن بعد مقتل حليف تورنوس القوي كاميلا يميل ميزان القتال لصالح آينياس الذي يستعد لدخول المدينة.

ويبدأ الكتاب الثاني عشر و الأخير "بالاستعداد للمبارزة الفردية حيث خضع تورنوس لذلك بعد أن انفض الحلفاء من حوله، ودخل آينياس المدينة عنوة, و بالتالي لم تعد يونو قادرة على أن توقف سير القدر. وفي النهاية يهزم تورنوس في المبارزة ويطلب الرحمة، و يميل آينياس للعفو عنه لولا أن تقع عيناه على الأسلاب الحربية ولا سيما أسلحة باللاس التي يتسلح بها تورنوس. فيعرف أنه ليس من الصواب أن يعفو عنه. وبالضربة القاضية التي يتلقاها تورنوس تنهي الإنياذة. والمتتبع للإنياذة يلاحظ أنه هناك من قسمها إلى : قسمين رئيسين القسم الأول يضم الكتب الستة الأولى و هي تقابل الأوديسا أي الرحلة في اتجاه الوطن الموعود، أما الكتب الستة الأخيرة تقابل الالياذة أي الحرب من أجل تأسيس هذا الوطن.

ومن النقاد من قسموها الى ثلاثة أقسام, فيضم القسم الأول الكتب من الأول إلى الرابع حيث يحتل موضوع قرطاجة مركز الصدارة، أما القسم الثاني فيضم الكتب من الخامس إلى الثامن يتحدث فيه عن الاستعداد للحرب بعد الوصول إلى لاتيوم، أمّا القسم الثالث و الأخير يضم الكتب من التاسع إلى الثاني عشر و موضوعها المعارك الرئيسية في لاتيوم.

خصائص	الإنياذة	الفنّية:
1-هي	فن	شعري بطولي.
2-هي	فن قصصي	يجتمع فيها الحب و الحرب.
3-مزجت	بين قوى الآلهة	و القوى البشرية.
4-طويلة	عدد أبياتها	يقارب 9896 بيت.
5-اعتمدت	الوزن	السداسي.
6-روعة اللغة	و جمالها	في كثير من أجزائها المتفرقة.
7-اعتمدت الوصف	و الحوار	و ظهور المنهج الخطابي أحيانا.
8-الوحدة العضوية	فكلها تدور	حول اينياس و أعماله ووحدة الزمان و المكان.

9-الإنياذة تدخل في باب الشعر الملحمي المقروء لا المسموع.

10-هي عمل أدبي يتسم بالفخامة الأسلوبية ويحرص على اكتمال الشكل، و تتجلى فيه روعة الصناعة البيانية.

11-موضوعها هو وصف خروج البطل إينياس من طروادة إلى ايطاليا وما لاقاه في طريقه من أهوال، وحققه من انتصارات حتى تتم له تأسيس الإمبراطورية الرومانية.